

تَقْسِمَةُ الْقِيَامَةِ إِذَا كُنَّ

سورة القيامة ١٢ - ٢ - ١٤٠٣ - ٩

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُفْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)

وَ لَا أُفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)

سورة القيامة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَهُ
عِظَامَهُ (٣)

بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسْوِيَهُ
بَنَانَهُ (٤)

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥)

يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧)

وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (٨)

وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩)

سورة القيامة

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ
الْمَفْرُوءُ (١٠)

سورة القيامة

كَلَّا لَآ وَزَرَّ (١١)

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)

يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ
أَخَّرَ (١٣)

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
بَصِيرَةٌ (١٤)

وَ لَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)

لَا تَحْرِكْ فِيهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ
بِهِ (١٦)

إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْءَانَهُ (١٧)

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (١٨)

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)

وَ تَنْظُرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢)

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

• ثم قسم تعالى اهل الآخرة فقال «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ» أى مشرقة مضيئة، فالنضرة الصورة الحسنه التى تملأ القلب سروراً عند الرؤية نضر وجهه ينضر نضرة و نضارة فهو ناضر. و النضرة مثل البهجة و الطلاقة، و ضده العبوس و البسور، فوجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة بما جعل الله عليها من النور علامة للخلق، و الملائكة على انهم مؤمنون مستحقون الثواب.

إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ

- و قوله «إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ» معناه منتظرَةٌ نعمةً ربها و ثوابه ان يصل اليهم.
- و قيل «ناضرة» أى مشرفة «إلى» ثواب ربها «ناظرة» و ليس فى ذلك تنغيص لان الانتظار إنما يكون فيه تنغيص إذا كان لا يوثق بوصوله الى المنتظر أو هو محتاج اليه فى الحال.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

• و المؤمنون بخلاف ذلك، لأنهم في الحال مستغنون منعمون، و هم ايضاً واثقون انهم يصلون الى الثواب المنتظر. و النظر هو قلب الحدقة الصحية نحو المرئى طلباً للرؤية و يكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى «وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاضِرَةٌ» «١» أي منتظرة

• (١) سورة النمل آية ٣٥

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

- وقال الشاعر:
- وجوه يوم بدر ناظرات
بالفلاح «٢»
- أى منتظرة للرحمة التى تنزل عليهم، و قد يقول القائل:
انما عينى ممدودة الى الله، و الى فلان، و انظر اليه أى
انتظر خيره و نفعه و أوْمَلْ ذلك من جهته،
- (٢) مر فى ١ / ٢٢٩

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

- و قوله «و لا ينظر إليهم يوم القيامة» «١» معناه لا ينيلهم رحمته. و يكون النظر بمعنى المقابلة، و منه المناظرة فى الجدل، و منه نظر الرحمة أى قابله بالرحمة، و يقال: دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل، و هو ينظر الى فلان أى يؤمله و ينتظر خيره،
- (١) سورة ٣ آل عمران آية ٧٧

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

- و ليس النظر بمعنى الرؤية أصلاً، بدلالة أنهم يقولون: نظرت الى الهلال فلم أراه فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضاً، و لأنهم يجعلون الرؤية غاية للنظر يقولون: ما زلت أنظر اليه حتى رأيته، و لا يجعل الشيء غاية لنفسه لا يقال: ما زلت أراه حتى رأيته، و يعلم الناظر ناظراً ضرورة، و لا يعلم كونه رائياً بل يسأل بعد ذلك هل رأيت أم لا؟

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ

- و دخول «الى» فى الآية لا يدل على ان المراد بالنظر الرؤية، و لا تعليقه بالوجوه يدل على ذلك، لأننا أنشدنا البيت، و فيه تعليق النظر بالوجه و تعديه بحرف (الى) و المراد به الانتظار، و قال جميل بن معمر:
- و إذا نظرت اليك من ملك و البحر دونك جرتنى نعاء «٢»
- (٢) مر فى ١ / ٢٢٩

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

• و المراد به الانتظار و التأمل، و ايضاً، فانه في مقابلة قوله في صفة اهل النار «تَظُنُّنَّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» فالمؤمنون يؤمنون بتجديد الكرامة و ينتظرون الثواب، و الكفار يظنون الفاقرة، و كله راجع الى فعل القلب، و لو سلمنا أن النظر يعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنها رؤية ثواب ربها، لأن الثواب الذي هو انواع اللذات من المأكول و المشروب و المنكوح تصح رؤيته،

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

- ويجوز أيضاً أن يكون إلى واحد إلقاءً وفي واحدتها لغات (ألا) مثل قفا، و (ألى) مثل معى و (إلى) مثل حدى و (ألى) مثل حسى، فإذا أضيف إلى غيره سقط التنوين، ولا يكون (إلى) حرفاً في الآية وكل ذلك يبطل قول من أجاز الرؤية على الله تعالى.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ

• و ليس لأحد ان يقول: إن الوجه الأخير يخالف الإجماع، أعني اجماع المفسرين، و ذلك لأننا لا نسلم لهم ذلك، بل قد قال مجاهد و ابو صالح و الحسن و سعيد بن جبیر و الضحاك: إن المراد نظر الثواب. و روى مثله عن على عليه السلام،

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

- وقد فرق اهل اللغة بين نظر الغضبان و نظر الراضى، يقولون: نظر غضبان، و نظر راض، و نظر عداوة، و نظر مودة، قال الشاعر:
- تخبرنى العينان ما الصدر كاتم
و لا حن بالبغضاء و النظر الشرر

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ

- و الرؤية ليست كذلك فإنهم لا يضيفونها، فدل على أن النظر غير الرؤية، والمرئي هو المدرك، و الرؤية هي الإدراك بالبصر، و الرائي هو المدرك، و لا تصح الرؤية و هي الإدراك إلا على الأجسام او الجوهر او الألوان. و من شرط المرئي أن يكون هو او محله مقابلا او فى حكم المقابل، و ذلك يستحيل عليه تعالى، فكيف تجيز الرؤية عليه تعالى!!!

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ

- قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» وصف ليوم القيامة بانقسام الوجوه فيه إلى قسمين: ناضرة و باسرة، و ناضرة الوجه و اللون و الشجر و نحوها و نضارتها حسنها و بهجتها.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

- والمعنى: نظرا إلى ما يقابله من قوله: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» إلخ وجوه يوم إذ تقوم القيامة حسنة متهلة ظاهرة المسيرة والبشاشة قال تعالى: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ»: المطففين: ٢٤، و قال: «وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا»: الدهر: ١١.

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ

- و قوله: «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» خبر بعد خبر لوجوه، و «إِلَى رَبِّهَا» متعلق بناظرة قدم عليها لإفادة الحصر أو الأهمية.

إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ

• والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسى المتعلق بالعين الجسمانية المادية التى قامت البراهين القاطعة على استحالته فى حقه تعالى بل المراد النظر القلبى و رؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان و يدل عليه الأخبار الماثورة عن أهل العصمة ع و قد أوردنا شطرا منها فى ذيل تفسير قوله تعالى: «قال رب أرنى أنظر إليك»: الأعراف: ١٤٣، و قوله تعالى: «ما كذب الفؤاد ما رأى»: النجم: ١١.

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ

- فهو لاء قلوبهم متوجهة إلى ربهم لا يشغلهم عنه سبحانه شاغل من الأسباب لتقطع الأسباب يومئذ، و لا يقفون موقفا من مواقف اليوم و لا يقطعون مرحلة من مراحلها إلا و الرحمة الإلهية شاملة لهم «و هم من فزع يومئذ آمنون»: النمل: ١٩

إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ

• و لا يشهدون مشهدا من مشاهد الجنة و لا يتنعمون بشيء من نعيمها إلا و هم يشاهدون ربهم به لأنهم لا ينظرون إلى شيء و لا يرون شيئا إلا من حيث إنه آية لله سبحانه و النظر إلى الآية من حيث إنها آية و رؤيتها نظر إلى ذى الآية و رؤية له.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

- و من هنا يظهر الجواب عما أورد على القول بأن تقديم «إلى ربها» على «ناظرة» يفيد الحصر و الاختصاص، إن من الضروري أنهم ينظرون إلى غيره تعالى كنعم الجنة.
- و الجواب أ لما لم يحجبوا عن ربهم كان نظرهم إلى كل ما ينظرون إليه إنما هو بما أنه آية، و الآية بما أنها آية لا تحجب ذا الآية و لا تحول بينه و بين الناظر إليه فالنظر إلى الآية نظر إلى ذى الآية فهو لاء لا ينظرون فى الحقيقة إلا إلى ربهم.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ

• و أما ما أجيب به عنه أن تقديم «إلى ربها» لرعاية الفواصل و لو سلم أنه للاختصاص فالنظر إلى غيره في جنب النظر إليه لا يعد نظرا، و لو سلم فالنظر إليه تعالى في بعض الأحوال لا في جميعها.

• فلا يخلو من تكلف التقييد من غير مقيد على أنه أسند النظر إلى الوجوه لا إلى العيون أو الأبصار و وجوه أهل الجنة إلى ربهم دائما من غير أن يواجهوا بها غيره.

وَ وُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ بِأَسِيرَةٍ (٢٤)

نَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ تَظُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقرَةً

- ثم ذكر القسم الآخر فقال «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ تَظُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقرَةً» يعنى وجوه اهل الكفر. و البسور ظهور حال الغم فى الوجه معجلا قبل الاخبار عنه و مثله العبوس إلا انه ليس فيه معنى التعجيل. و الفاقرة الكاسرة لفقار الظهر بشدة و مثل الفاقرة الداھية و الآبدة.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ تَتَنُّنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقرَةً

- وقال الحسن: ناظرة بهجة حسنة. وقال مجاهد: مسرورة. وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مجاهد و قتادة: معنى بأسرة كاشرة كالحة.
- وقال مجاهد: الفاقرة الداهية. وقال ابن زيد الآبدء بدخول النار.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ تَظُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقرَةً

- قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ تَظُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقرَةً» فسر البسور بشدة العبوس و الظن بالعلم و «فاقرَةً» صفة محذوفة الموصوف أى فعله فاقرَةً، و الفاقرة من فقره إذا أصاب فقار ظهره، و قيل: من فقرت البعير إذا وسمت أنفه بالنار.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ تَتَنُّنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ

• و المعنى: و وجوه يومئذ شديدة العبوس تعلم أنه يفعل بها فعلة تقصم ظهورها أو تسم أنوفها بالنار،

• و احتمال أن يكون تنن خطابا للنبي ص بما أنه سامع و الظن بمعناه المعروف.